

بمناسبة انتهاء العام الدراسي

عهد التلمذة

للأستاذ راشد رستم

أول المهود وأميزها

وأمن الروابط وأدومها

تدور الدنيا وتدور ، وتذهب الأيام ولا تعود ، وتفرق
الجماعات ولا تدوم ، وهذا الحرم المدرسي المعنوي قائم لا يحول
ولا يزول

واسع الرحبات ، فسيح الجنبات ، يستقبل الأجيال بعد
الأجيال ، في رضا ومهابة وسلام

هؤلاء الذين نراهم فيه اليوم رأى العين ، هم أولئك الذين
كنا نراهم فيه ، أيام كنا فيه بالأس ، رأى الغيب — وهكذا
حلقة إثر حلقة وجيلاً بعد جيل

ها هم أولاء يلمبون كما كنا نلعب ، ويدرسون كما كنا
ندرس — أبناء لآباء ثم آباء لأبناء ، والكل عند المحراب سواء

ساحة دأمة البقاء ، تتلاقى فيها ما لا يتلاقى إلا فيها من
حلاوة الدهر ، وبراءة السن ، وبداعة العمر

ساحة تتجلى فيها حياة الفكر والروح ، وتلمب فيها حكمة
الشعوب لمبتها الكبرى في صقل العقول وتكثيف الميول

هنالك تشهد الإنسانية أبناءها الصغار بين أيدي أبنائها
الكبار ، فترجو أن ترى في هؤلاء الصغار أسمى معانيها الكبار

في البيت تتجلى مسؤولية الفرد ، وهنا تتجلى مسؤولية الجماعات
إن مراكز الجماعات من نواد وجمعيات وثكنات وما يخرج
عنها للسلام وللحراك ، من حروب ورحلات واجتماعيات ، هي
لا شك في حياة الشعوب والأمم روابط وعهود وذكريات ،
يخفظ فيها الدم بالدم ، واللحم باللحم ، والفكر بالفكر ،

ولكن بشهد الله أن عهد المدرسة هو عهد الجميع ، وهو فوق
جميع المهود ، بل هو قبل جميع المهود ، هو عهد الصداقة
والأخوة والصفاء

هو الحقل الذي توضع فيه البذرة الأولى لشجرة الأخوة
الأولى ، تنمو وتنمو ، فتتعمق معها الفروع والأغصان والأوراق
والظلال ...

إن نظام المدرسة اليومي ، رغم تكراره اليومي ، لا يدعو
إلى السأم ولا إلى الملل — ذلك أنه نماء متدفق وتجديد مستمر ،
مرحلة بعد مرحلة وعاماً بعد عام ، بل يوماً بعد يوم

هذا التكرار اليومي لهذا العهد المدرسي لا يحيله جموداً ،
بل هو يزيد في معناه ثبوتاً ورسوخاً وخلوداً ، ويرتفع به إلى
طبقات ليس فيها غير صفاء النفس ، ودوام الربط ، وسعادة
الذكر ...

بل إن هذا التكرار المتنوع المستمر يصهر النفوس الناشئة
صهراً هيناً ليناً شديداً قوياً يجعلها صالحة للعمل صالحة للبقاء
وهو العهد الذي يشعر فيه الإنسان مهما كان صغيراً ،
أنه قوة ، وأنه ينمو ، وأنه سيصير قوة أخرى
حركة دأمة ، وتنافس محبوب ، وآمال متتابعة ، وحياة
لها كل المستقبل ولا تنسى أبداً

هي الوحدة الموسيقية التي تضبط خطى الجيل ، والتي تربط
بين أفراده وهم يسرون في الحياة لخدمة الأوطان . هنالك
تتجلى عظمة هذه الموسيقى إذا ارتفعت بالنفوس إلى مراتب
التضحية وخدمة المجموع

نم ما أحلاه عهداً ، وما أحبه إلى النفوس عوداً ، فكلما
تقدم المرء في السن كلما عرف قدره ، وعاد به الحنين إلى تلك السفين
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فحنوا لذلك
يود المرء أن يرجع إلى هذا العهد الذي أقام له بينه وبين
إخوانه زمالة هي زمالة الدهر ، والتي هي أسمى من قرابة اللحم
والدم ، ورب صداقة خير ألف صرة من قرابة ، وإذا لم يكن
القريب صديقاً فهو والغريب سواء بل أشد غربة